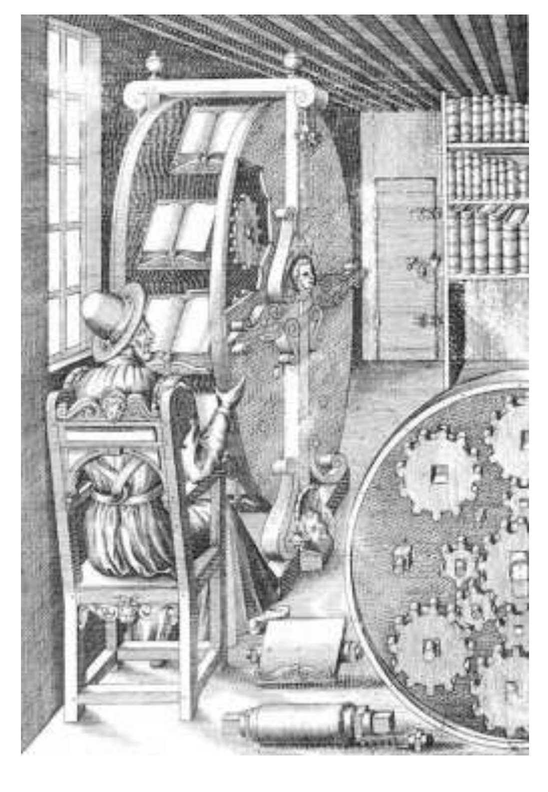
المجلة العربية الدولية لدراسات المكتبات والمعلومات
المجلد الثانى – العدد الثالث يوليو 2023

علم آثار القراءة[1]
ماذا يعني تاريخ الكتب
حقائق جديدة عن الببليوجرافيا والتعليم والكتاب الورقي

تأليف ماثيو سيموندس وإيرل هافنز
ترجمة ا.د. زين عبد الهادي
أستاذ علم المكتبات والمعلومات
جامعة حلوان



مقدمة :

تاريخ الكتاب له جذوره في علم الببليوجرافيا وعلم المكتبات وتقاطعات التاريخ الاجتماعي والثقافي والمادي. وقد برز في العقود الأخيرة كمقرر أكاديمي داخل صفوف المرحلة الجامعية الأولى ومرحلة الدراسات العليا الخاصة به ، ومعه الدوريات العلمية ، والمسلسلات العلمية ، وأعمال المؤتمرات ، ومراكز الأبحاث. وهي متنوعة ومنهجية ومتعددة التخصصات، تقع بين عوالم أكاديمية ودراسية وبين المجموعات المادية من المواد التاريخية ، والأخيرة إلى حد كبير في حيازة ورعاية الجامعات والمكتبات البحثية، وكذلك بائعي الكتب النادرة

تاريخ استلام البحث: 2023/5/27 تاريخ إجازة البحث: 2023/6/4

وجامعي القطع الخاصة. ولها موضوعها كشكل من أشكال التكنولوجيا التي أصبحت عالمية جدًا، زمنياً وجغرافياً، بحيث يمكن اعتبارها طبيعية تقريبًا: إذ يظهر المشـهد المادي الذي يتم فيه الحفاظ على السجل التاريخي بشكل أكثر وضوحا ويتم التعامل معه عبر الزمن.

تاريخ الكتاب كموضوع وعلاقته بالببليوجر افيا:

على الرغم من أنه لا يزال بإمكان المرء أن يدعي أن تاريخ الكتاب هو "موضـوع جديد" - على الأقل بالنسـبة للمؤرخين الأكاديميين - مقارنة بالموضـوعات السـائدة الأخرى للخطاب العلمي، إلا أن له جذوره في التحليل الببليوجرافي الدقيق ووصف الكتب كأشياء objects. غالبًا ما يهتم الببليوجرافي بالكتاب الفردي باعتباره قطعة أثرية متكاملة وكيف يختلف عن الكتب الأخرى التي تحمل نفس العنوان، وغالبًا ما تكون من نفس الطبعة أو مكان الطباعة أو في حالة إعادة الطبع والإصدار.



من الشائع في الببليوجرافيا ببساطة أن نفترض كمبدأ عملي أن كل كتاب هو عمل فردي، بطريقة أو بأخرى، فريد من نوعه ونشير لحالة حفظه المادي، ومن ناحية تعرضه للرقابة على المطبوعات[2] والدليل على استخدامه، وإلى من تعود ملكيته، وهلم جرا. هل تم طباعته بخط محرف مختلف؟ هل هذان النصان متماثلان أم أن هناك اختلافات في اللغة والهجاء وعلامات الترقيم أو في طريقة مطابقته مع نصوص أخرى؟ كيف طبع[3] وما هي المواد التي استخدمت في طباعته؟ تعتبر

الأسـاليب الببليوجرافية أسـاسـية لعمل مؤلف الكتاب، والتدريب المناسـب شـرط مسـبق لأي تحليل أو تفسير ببليوجرافي إضافي.

يحتل الكتاب موقع كلاسـيكي في الدراسـات الأكاديمية الحديثة، ونقطة أصل محددة إلى حد ما لتاريخ الكتاب كموضـوع مميز[4] وهو عمل من تأليف كل من لوسـيان فبر[5] وهنري جان مـارتن، بعنوان ظهور الكتـاب (1958) L’apparition du Livre ، والـذي ترجم إلى اللغـة الإنجليزية ونشـــر في عـام 1976 تحت عنوان مولـد الكتـاب : أثر الطبـاعـة ، 1450-1800. وفي الانجليزية بعنوان The Coming of The Book: The impact of Printing, 1450-1800 ينتمي عمل فيبر ومارتن إلى مدرســة "Annales " حوليات التاريخ الاجتماعي[6]. حيث يتم رفض التاريخ التقليـدي للنخـب - وأحـداثـه الراهنـة- وولادة وموت الملوك والأمراء، والحروب الكبيرة التي خاضــوها، والنقاشــات الســياســية والبرلمانية العالية التي دعمتها أو حاولت منعها. بينما عمل هؤلاء المؤرخون الجـدد على معـالجـة التـاريخ على نطاق أكبر، وفي مدد زمنيـة طويلـة الأمد وعلى مســاحات جغرافية واســعة. قدم عمل "مولد الكتاب" تقنيات اجتماعية وأنثروبولوجية لتاريخ ظهور الكتـب المطبوعـة في أوروبـا الغربيـة، كمـا قـدم افكـارا جـديـدة حول التحول من ثقـافـة التواصل الشـفوي والكتابات بخط اليد إلى ثقافة تعتمد على النصوص المطبوعة والذي كان له آثار ذات أبعـاد جذريـة على الطرق التي فكر بها الأوروبيون في العـالم ، هـذا الكتـاب الـذي ألهم المؤلفين وأدى إلى ظهور كتب علمية عظيمة الشـــأن في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين.

يكاد يكون من المســتحيل الهروب من تأثير دراســة إليزابيث آيزنشــتاين الضــخمة، المطبعة كعامل للتغيير 1979(The Printing Press as an Agent of Change). حيث ارتكزت مناقشــات آيزنشــتاين، باختصــار وبصــورة مختزلة، على أن اختراع النوع المتحرك من المطبعة والمطبعة الميكانيكية مكنت من نشـر المعرفة إلى سـكان أوروبا بشـكل أوسـع من النخب المتعلمة في الطبقـة الأرســتقراطيـة ورجـال الكنيســة، ومن هـذه النقطـة تحول التـاريخ وفق نطـاق غير مسـبوق. كما قرأ الناس لأنفسـهم أكثر من أي وقت مضـى، فقد فكروا أكثر لأنفسـهم وتكاثرت الحركات الثقـافيـة الأوروبيـة مثل إحيـاء عصــر النهضــة للأدب اليونـاني الرومـاني والدراســات الأكاديمية، والإصــلاح البروتســتانتي، والثورة العلمية، وفتحت جميع الطرق الحديثة المبكرة



الرئيســية نحو الحداثة، والتى أضـحت ممكنة من خلال العامل الـذي وفرتـه تكنولوجيا الطباعـة حســب النوع المتحرك. بـالنســبة لأيزنشــتاين، كانت الطباعة "ثورة غير معترف بها".

دائمًا ، كما هو الحال مع أي إعادة ربط لعامل مؤثر بفترات وحركات تاريخية محددة تقليديًا، يختلف أحدهم مع تلك الادعاءات الكبيرة. إذ يشــير علماء العصــور الوسطى ، بشكل مبرر ، إلى أن نشر التعلم قبل الطباعة لم يكن مقيدًا كما يتصور ؛ البيليوجرافيون، قالوا بأن الكتب كانت تطبع ولم تتغير من الطباعة إلى ماقبل الطباعة . كما لاحظ مؤرخو الدين أن الكاثوليك كانوا يطبعون ويقرأون الكتب بنفس القوة والخيال مثل البروتســتانت. بينما قال مؤرخو العلوم، أن التجريبية الجديدة مبنية على التكاثر المعملي للمعرفة التجريبية، وليس مجرد نظرة انعكاســية للأشــياء في الكتب. يشــير المؤرخون الاقتصــاديون والاجتماعيون إلى أن الكثير من نظم التجارة وإيقاعات الثقافة الشعبية في العصور الوسطى استمرت بنفس الوتيرة على الرغم من أي تحولات كبرى في الدوائر المتعلمة؛ وقد يشــير طلاب اكتشــاف العالم الجديد إلى تجارب الفكر الطوباوي، ولكن أيضًــا إلى تصــدير المفاهيم القديمة للإمبراطورية والحملة الصليبية الجديرة بروما القديمة وغزو العصور الوسطى للأراضي المقدسة. ومع ذلك ما زالت حجة آيزنشــتاين الأكثر عمومية قائمة ، مما يضــع الكتاب المطبوع في قلب كل هذه التحولات التكتونية (الجيولوجية المتراكمة) في الماضي الحديث المبكر.

مع ذلك تم توجيه انتقادات لليقين الذي قالت به آيزنشــتاين بقوة في كتاب أدريان جونز عن طبيعة الكتب : الطباعة والمعرفة في الصــناعة Adrian Johns. The Nature of the

Book: Print and Knowledge in the Making (1998). حيث بين جونز كيف أن الاختلافات في الكتب المطبوعة ، والأخطاء التي يمكن إدخالها في أي مرحلة من مراحل عملية الطباعة ، تعني أن الناس ، وخاصة الأبطال العظماء في الثورة العلمية ، لم يكونوا سريعين في الوثوق بالكلمة المطبوعة لمجرد أنها طبعت. (لم يكن هذا مفاجئًا بالطبع للببليوجرافيين). في القرن الحادي والعشرين ، تراجع تاريخ الكتاب عن الروايات الواثقة والواسعة التي قدمتها المدرسة السابقة وعمل أيزنشتاين الأصلي الذي تعلق بالربط بين طباعة الكتاب وتعزيز عصر النهضة، وعاد مرة أخرى للظروف المادية لإنتاج وتداول واستهلاك الكتب التي ألهمت هذه الدراسات. تبقى الكتب ، بعد كل شيء ، الأشياء المادية ليتم التعامل معها جسديًا وقراءتها واستخدامها. يعتمد المؤرخون ، ربما بشكل مثير للسخرية في الثورة الرقمية اليوم ، أكثر من أي وقت مضى على هذه السجلات المباشرة للماضي البعيد ، والتي أصبحت متاحة أكثر من أي وقت مضى من خلال سجلات المكتبة الإلكترونية على نطاق غير مسبوق، على الأقل منذ اختراع الطباعة نفسها. أصبحت شروح المخطوطات العرضية التي كانت تثير غضب أمناء المكتبات والمقتنيات النادرة من الكتب - الذين قام بعضهم بتبييضها، في محاولة لتنقية الهوامش السميكة التي أحاطت بترتيبات من النوع البكر - مركزية لتاريخ القراءة (على الرغم من أن علماء التشفير في العصور الوسطى كانوا يعتمدون دائمًا عليها ، تكشف عن تحامل آخر على الدراسات التي تناولت عصر الطباعة). في الآونة الأخيرة ، كتب وليم شيرمان كتابه : الكتب المستعملة : صناعة القراء في عصر النهضة في انجلترا William Sherman's Used Books: Marking Readers in Renaissance England (2008) استشهدت وأشارت إلى مئات الدراسات التي تظهر كيف أن الهامش بالقلم والحبر ، في جميع أنواعه، يجذب التفاعل الفوري للقراء مع كتبهم. تكشف هذه الظاهرة أن القراءة نادرًا ما كانت فعل استقبال سلبي، بل بالأحرى كانت بدء مشروع أكبر للتعلم ، والإتقان ، والاستجابة ، والحفاظ على الأفكار عبر الوقت ، وربما في أي مكان أكثر تكرارًا من صفحات الكتب. أيضا دراسة آن بلير الكثير الذي نعرفه : إدارة المعلومات البحثية قبل العصر الحديث Ann Blair's study Too Much to Know: Managing Scholarly Information before the Modern Age (2010) قبل العصر الحديث تحمل سلالة مماثلة من الملاحظات والأفكار في استنتاجها الإضافي: ثقافة الطباعة الحديثة المبكرة كانت "ثقافة معلومات". ألهمت كل أنواع المحاولات لاحتواء ومعالجة وفهرسة والحفاظ على ما وراء موضع الكتابة على

الصفحة. هذا "الحمل الزائد للمعلومات" ، الذي هو مصدر الكثير من الشكاوى اليوم ، ألهم القراء منذ قرون لابتكار طرق جديدة للتكيف ، وطرق جديدة ومتطورة بشكل متزايد لإدارة المعلومات ، تمامًا مثلما نفعل في منطقتنا الرقمية المنتشرة (والمتزايدة بشكل مستمر) أنه موضوع ثقافة المعلومات الذي يبرز كموضوع آخر ، **خاصة وأن طلاب "تاريخ الكتاب" أصبحوا مهتمين بشكل متزايد بتاريخ ممارسات القراءة: أو مايمكن تسميته بردود أفعال القراء على مايقرؤون** idiosyncrasy. بالتأكيد بالنسبة لأولئك الذين يعملون منا على علم آثار القراءة ، فإن هذه الفكرة تستمر في العودة إلى الذهن. في الوقت الذي يحاول فيه فريق البحث لدينا، في بيئة رقمية، النظر من فوق أكتاف اثنين من أكثر من قاموا بوضع التعليقات التوضيحية التسلسلية – الكتابة على الهوامش - للكتب المطبوعة في عصر النهضة - غابرييل هارفي وجون دي Gabriel Harvey and John Dee – حيث يبدو أن القلم والحبر لديهما دائمًا في حالة من الجاهزية المستمرة. . وقد انتشرت المكتبات الشخصية لهذين الرجلين عبر المكتبات العظيمة لبريطانيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. تهيمن مخطوطاتهم الهامشية في بعض الأحيان، إلى درجة ابتلاع الكلمات المطبوعة على صفحة معينة، تاركة لطالب اليوم الأخير - الطلاب الذين يقومون بالقراءة - "ممارسات القراءة" الخاصة بهم مع الكثير من المعرفة. ومع ذلك ، فإن الأنماط الغنية والمعقدة للقراءة تقدم نفسها عبر مجموعة من الكتب ذات الشرح الرقمي، والتي تجسد جهود كل من Harvey و Dee لدمج تكنولوجيا الطباعة في أغراضها الفورية وتحولاتها الذهنية. إن شعورهم المتبادل، حتى المتشدد، بأن الكتب لم تكن أشياء يجب قراءتها فحسب، بل تقفز التقنيات "المستخدمة" و "المحفورة" في الصفحات مرارًا وتكرارًا. حيث تم تحويل هوامش عريضة (وأحيانًا ضيقة للغاية)، وتم ملء المسافات الفارغة بين الفقرات ولم تسلم حتى الأوراق الفارغة في نهاية الكتب ، من قبلهما ، حيث استخدما وبطرق مختلفة ، كل ما يمكنهما كتابته ووضعا لوحات رسموا عليها كلماتهم وأفكارهم في لحظة معينة.

مثل هارفي و دي Harvey and Dee ، اخترنا أحدث التقنيات المتاحة لنا ، حيث قمنا بتكييف الوسط الرقمي لمحاولة اماطة اللثام عن لوحات القراءة المعقدة هذه واستكشافها بالكامل. في محاولتنا التغلب على "المعلومات الزائدة" المقدمة إلينا حتى من خلال مجموعة متواضعة من مئات من كتبهم الباقية المشروحة، وعشرات الآلاف من الهوامش الباقية على قيد الحياة من أجل استكشاف المزيد من إمكانيات المحتوى في الكتب والقراءة. ليس من

الحكمة دائمًا أن تطلب من المؤرخين أن يتطلعوا إلى المستقبل بدلاً من الماضي، ولكن يبدو من المعقول أن نعترف بأنه يجب علينا اليوم على الأقل أن نواجه احتمالية تلوح في الأفق لعالم سيصبح قريبًا "ما بعد الطباعة" "post-print" (وهو يوازي نهاية العالم في عيون كثير من العلماء). في الوقت نفسه، فإن مؤرخي الكتب - الطلاب، بعد كل شيء، الذين يمارسون التكنولوجيا - بدأوا الآن يتعاملون مع العلوم الإنسانية الرقمية. هذا هو المصطلح الذي يظهر بتواتر متزايد في الأحرف الكبيرة، مثل الإصلاح أو الثورة العلمية، ومؤخراً تاريخ الكتاب (كان هناك وقت لم يحدث فيه أي منهم). في حين أن الفضل المتزايد في المصطلح قد يُنسب إلى حد كبير إلى إنشاء مستويات غير مسبوقة من الوصول إلى -محتويات الكتب- عن طريق رقمنة الكتب القديمة والنادرة بشكل جماعي (يمكنك ان تفكر في كتب Google)، فقد أصبح مرتبطًا أكثر فأكثر بمشروعات الرقمنة المرتبطة بموضوع محدد للغاية مثل أسئلة البحث التي لا يمكن الإجابة عليها بالضرورة من خلال الكتب بأشكالها الأصلية التناظرية.

بينما يخشى البعض من أن مثل هذه الجهود قد تسعى إلى "حذف" الكتب تمامًا، فإن أهدافنا (مثل تلك الخاصة بهارفي ودي) هي عكس ذلك تمامًا. ي**حاول علم آثار القراءة دراسة تاريخ الكتب من خلال احتضانها بجميع أشكالها، من الطبعات الأصلية، من خلال شروحها وخصائصها الفيزيائية الفريدة الأخرى، إلى بدائلها الرقمية**، وحتى ترميزها كملفات فائقة بصيغة XML[7]. مثلما يتم توفير كميات كبيرة من الكتب، يمكننا أيضًا إنشاء طرق جديدة لفتح كميات هائلة من المعلومات التي تحتويها، من صوت الشعب vox populi للطباعة إلى خصوصية عميقة لردود الأفعال المكتوبة على هوامش المخطوطات. لا يزال لدينا الكثير لنتعلمه من كيفية فهم الآخرين ومعالجة المخاوف (والإمكانيات) التي يمثلها التغيير التكنولوجي السريع، حتى في الماضي البعيد. كما هو الحال مع **علم آثار القراءة**، نحن مقتنعون أكثر من أي وقت مضى أنه، تمامًا مثلما لم تحل ثقافة الطباعة في الفترة الحديثة المبكرة محل الثقافات الشفوية وثقافة المخطوطات السابقة، لا يمكن أو لا يمكن للعالم الرقمي أن يعطل ، ناهيك عن إزاحة ، الكتاب المطبوع وتاريخه الدائم.

الهوامش

[1] https://archaeologyofreading.org/historiography/.Seen Dated 15 May 2020 : *Symonds, Matthew and Havens ,Earle.* What is the history of books? What is the History of Books? | Archaeology of Reading. Seen Dated 10 May 2023.

2 بأن يكون قد منع عرضه وبيعه مثلا من قبل هيئة الرقابة على المطبوعات - المترجم

3 ما التقنيات المحددة التي تم استخدامها في طباعته - المترجم

4 في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، قد يشـير البعض في وقت سـابق إلى العمل الببليوجرافي الرائد والدقيق لـلسـادة و.و. جريج WW Greg وبولارد Pollard وريد جريف Redgrave وآخرون et.al ، على الرغم من أن عملهم كان أكثر تركيزًا على تاريخ الطباعة وتحديداً تجارة الكتب - المؤلف.

5 لوسـيان فيبر (1878-1956)مؤسـس مدرسـة الحوليات في التاريخ وشـارك في تأليف الموسـوعة الفرنسية.

6 مدرسـة التاريخ الاجتماعي (الحوليات) Annales (النطق الفرنسـي: [a'nal] (الحولية) هي مجموعة من المؤرخين المرتبطين بأسلوب التأريخ الذي طوره المؤرخون الفرنسيون في القرن العشـرين للتأكيد على التاريخ الاجتماعي بعيد المدى. سـميت على اسـم مجلتها العلمية *Annales d'histoire économique et sociale*, ، أو حوليات التاريخ الاقتصـادي والاجتماعي لتي لا تزال المصـدر الرئيسـي للمنح الدراسـية ، إلى جانب العديد من الكتب والدراسـات. كانت المدرسـة مؤثرة للغاية في وضـع جدول أعمال التأريخ في فرنسـا والعديد من البلدان الأخرى ، خاصـة فيما يتعلق باسـتخدام الأسـاليب العلمية الاجتماعية من قبل المؤرخين ، مع التركيز على الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية بدلاً من الموضوعات السياسية أو الدبلوماسية. (المترجم)

تتعامل المدرسـة في المقام الأول مع أواخر العصـور الوسـطى وأوروبا الحديثة المبكرة (قبل الثورة الفرنسـية) ، مع القليل من الاهتمام بالموضـوعات اللاحقة. سـيطرت على التاريخ الاجتماعي الفرنسـي وأثرت على التأريخ في أوروبا وأمريكا اللاتينية. ومن بين القادة البارزين المؤسـسـين لوسـيان فبر (1878-1956) وهنري هاوزر (1866-1946) ومارك بلوخ (1886-1944). قاد الجيل الثاني فرناند بروديل (1902–1985) وشمل جورج دوبي (1919-1996) ، بيير جوبيرت (1915–2012) ، روبرت ماندرو (1921–1984) ، بيير تشـونو (1923–2009) ، جاك لو جوف (1924–2014) وإرنسـت لابروس (1895–1988). مؤسـسـيًا يعتمد على

مجلـة Annales ، دار النشـر SEVPEN، Fondation Maison des sciences deomme (FMSH) ، وخاصـة القسـم السـادس من مدرسـة الذرائع والدراسـات العليا École Pratique des Hautes Etudes ، وكلها مقرها في باريس. قـاد الجيل الثـالث إيمانويل لـو روي لادوري (1929–) ويضـم جاك ريفيل ، وفيليب أريس (1914–1984) ، الذين انضـموا إلى المجموعة عام 1978. شـدد الجيل الثالث على التاريخ من وجهة نظر عقلانية. من الواضـح أن الجيل الرابع من المؤرخين في Annales ، بقيادة روجر شارتييه (1945–) ، نأى بنفسه بشكل واضح عن نهج العقلانيـة، واسـتبدلته بالتحول الثقـافي واللغوي ، الـذي يؤكد على تحليل التـاريخ الاجتماعي للممارسات الثقافية. (المترجم)

كـان المنفـذ العلمي الرئيسـي هو مجلـة Annales d'Histoire Economique et Sociale ("Annals of Economic and Social History") ، التي تـأسـسـت في عـام 1929 من قبـل Lucien Febvre و Marc Bloch ، والتي انفصـلـت جـذريًا عن التـأريخ التقليـدي من خلال الإصـرار على أهمية أخذ كل مسـتويات المجتمع في الاعتبار وشـدد على الطبيعة الجماعية للعقلانية. اعتبر المسـاهمون الأحداث أقل جوهرية من الأطر العقلية التي شـكلت القرارات والممارسـات. كان جانميش كوكاتي رئيس تحرير لجنة أناليس من عام 2003 حتى الآن ، يليه عـالم العصـور الوسـطى جـاك لـو جوف. ومع ذلـك ، كان الخليفـة غير الرسـمي كرئيس للمدرسة هو Le Roy Ladurie. حاولت المدرسة تقديم استجابات متعددة. تحرك العلماء في اتجاهات كثيرة ، حيث غطوا بطريقة منفصـلـة التاريخ الاجتماعي والاقتصـادي والثقافي للعصور المختلفة وأجزاء مختلفة من العالم. بحلول وقت الأزمة ، كانت المدرسـة تبني شـبكة واسـعة للنشـر والبحث تصـل عبر فرنسـا وأوروبا وبقية العالم. انتشـر التأثير بالفعل من باريس ، ولكن لم ترد سـوى أفكار جديدة قليلة. تم التركيز كثيرًا على البيانات الكمية ، التي يُنظر إليها على أنها مفتاح كل التاريخ الاجتماعي. ومع ذلك ، تجاهلت Annales التطورات في الدراسـات الكمية الجارية في الولايات المتحدة وبريطانيا ، والتي أعادت تشـكيل البحوث الاقتصادية والسياسية والديموغرافية. رفضت الحكومة محاولة وضع مقرر كتاب مدرسي كتبته مجموعة أناليس للمدارس الفرنسـية. بحلول عام 1980 ، أدت الحسـاسـيات في ظاهرة ما بعد الحداثة إلى تقويض الثقة في المدرسة ووصلت إلى حالة من التفكك الشاملة. كما يلاحظ جاك ريفيل ، فإن نجاح مدرسـة أناليس ، وخاصـة اسـتخدامها للهياكل الاجتماعية كقوى تفسـيرية ، احتوى بذور سـقوطها الخاص ، لأنه لم يعد هناك أي إجماع

ضـمني يمكن من خلاله بناء وحدة المجتمع من خلال الدراسـة التاريخية الاجتماعية المحدد بالواقعية ". حافظت مدرسة أناليس على بنيتها التحتية ، لكنها فقدت عقلياتها. (المترجم)

7 صيغة اكس إم إل XML هي صيغة أو قوالب لوضع صفحات الشبكة العنكبوتية على الانترنت دونما حاجة إلى استخدام قواعد البيانات (المترجم)